

تحليل عميق لـ "الكلمة الأولى": الرسالة العالمية لـ "بسم الله" ونقطة

التقاطع بين بديع الزمان والعلوم الشعبية-1

صلاح الدين ألتونداغ¹

العلوم الشعبية هي الانضباط الذي يهدف إلى شرح المفاهيم والاكتشافات العلمية المعقدة بلغة يمكن للجمهور العام فهمها. تسعى العلوم الشعبية إلى نقل العلم والتكنولوجيا إلى جماهير أوسع، مع تبسيط اللغة التقنية والمعقدة المستخدمة في الأدبيات العلمية وشرح الاكتشافات والنظريات العلمية بلغة يمكن للجمهور فهمها. بدأت العلوم الشعبية في أوروبا خلال القرن التاسع عشر، فترة شهدت تقدماً سريعاً في العلوم والتكنولوجيا. أدرك العلماء والكتاب أهمية نقل الاكتشافات والنظريات العلمية للجمهور العام بلغة يمكنهم فهمها. وهذا أدى إلى الحاجة إلى تديمقراطية العلم وتسهيل وصول الجمهور إليه. وقد ساعد نشر المعرفة العلمية لجماهير أوسع في فهم المجتمع للعلم ودور الاكتشافات والنظريات العلمية في حياتهم.

تتناول العلوم الشعبية مجموعة متنوعة من الموضوعات، مثل البيولوجيا، الفيزياء، الكيمياء، الفلك، الطب، التكنولوجيا، البيئة والمزيد. وتتم شرح هذه الموضوعات

¹ دكتور وأستاذ مساعد،

جامعة ديجله، تركيا

salahattinaltundag@gmail.com

<https://orcid.org/0000-0002-6198-7959>

عادةً بلغة يمكن للجمهور فهمها، مع استخدام عناصر مرئية أو أمثلة سهلة الفهم. توضح العلوم الشعبية أيضاً كيف يؤثر الاكتشاف العلمي والنظرية على المجتمع والبيئة، وكيف يمكن استخدام هذه المعرفة في حياتنا اليومية.

في هذا الزمان الذي تشهد فيه العلوم والتكنولوجيا تطوراً استثنائياً، قد يؤدي تعقيد المفاهيم العلمية وصعوبة فهمها إلى ابتعاد الجماهير الواسعة عن العلم. وتتشابه الحالة عندما يتعلق الأمر بموضوعات مثل الدين والفلسفة والآخرة. ومع ذلك، كما يترجم العلم الشعبي المفاهيم العلمية المعقدة إلى لغة يمكن للجمهور فهمها، تحمل كتب بديع الزمان سعيد النورسي، الكليات رسائل النور، الهدف نفسه في تقديم الموضوعات الدينية والفلسفية للجمهور.

الكليات رسائل النور هي شعاع من الأمل للجماهير الواسعة التي قد تكون قد جُوعت للمعرفة والتفكير، أو ربما أُبعدت عن المعلومات الدينية. تقدم رسائل النور موضوعات الدين المعقدة على مستوى يمكن للجمهور فهمه. وبهذا الشكل، تقدم سلسلة رسائل النور لقرائها فرصة لتوسيع آفاقهم ومعرفتهم الروحية، بغض النظر عن مستواهم أو أعمارهم أو ثقافتهم.

تقدم رسائل النور المفاهيم الدينية والفلسفية بلغة يمكن للجميع فهمها، ولكنها لا تبسطها. وبهذه الطريقة، يمكن لكل قارئ تطوير أفكاره واكتشاف نطاق واسع من المعرفة.

وبالتالي، تنقل الكليات رسائل النور هدف العلم الشعبي من تقديم الموضوعات العلمية إلى الجمهور إلى الميدان الديني والفلسفي. في عالم يُبعد الناس عن العلم

والفكر والمعلومات الدينية، يجعل هذا العمل هذه الموضوعات مرة أخرى ذات معنى ومتاحة. أي أن رسائل النور تأتي لإنقاذ الجماهير الواسعة التي شعرت بالدهشة أمام سرعة التقدم العلمي، وبالإحباط أمام تعقيد المعلومات الدينية.

هنا، الهدف من الكليات رسائل النور هو جعل الوصول إلى المعرفة والفكر أكثر ديمقراطية وتقديم المعلومات الدينية والفلسفية بطريقة فهم للجماهير الواسعة. وبهذا، سيصبح من الممكن للجميع فهم العالم والآخرة ومعنى الوجود بشكل أفضل، وتطبيق هذه المعلومات في حياتهم.

نود التركيز على جزء من الكليات رسائل النور وهو "الكلمة الأولى". ورغم أن "الكلمة الأولى" تشكل فقط صفحتين من الكليات، إلا أنها تظهر بوضوح كيف قام بديع الزمان بتقديم الموضوعات الدينية والفلسفية للجماهير الواسعة.

"الكلمة الأولى" هي نص بسيط ولكن فعال يتناول النقاط الأساسية للدين. ومع ذلك، المهم هنا ليس بساطة النص، ولكن طريقة تقديم المعرفة. الوصول إلى المعرفة هو واحد من الأهداف الرئيسية لـ الكليات رسائل النور، ونستطيع أن نرى أن هذا الهدف تم تحقيقه في "الكلمة الأولى". في هذا النص، لم يتم تبسيط أو تقليل الأفكار الدينية المعقدة، بل تم تقديمها بلغة واضحة ومتاحة.

"الكلمة الأولى" توضح في جوهرها المفاهيم الأساسية للدين والفلسفة؛ ويتم تقديم تعقيد هذه المفاهيم بلغة بسيطة تستهدف الجمهور العام. هذا الأمر يشبه بطريقة ما الطريقة التي يقدم بها العلم الشعبي المفاهيم العلمية بلغة يمكن فهمها. ومع ذلك،

لا يفقد بديع الزمان جوهر المعلومة خلال هذه العملية، بل يعمق ويوسع هذه المفاهيم.

"الكلمة الأولى" هي مثال على كيف تم تطبيق العلم الشعبي في رسائل النور. جعل النص مفهوماً للجمهور العام هو الهدف الرئيسي للعلم الشعبي، ورسائل النور تحمل هذا الهدف إلى الموضوعات الدينية والفلسفية.

"الكلمة الأولى" تظهر هدف رسائل النور الذي يتمثل في تقديم المعرفة والفكر المتاح للجماهير الواسعة. هذا النص الصغير هو مثال ممتاز على تسهيل وصول الشعب إلى المعرفة، وبالتالي مكن كل فرد من فهم الدنيا، الآخرة، ومعنى الوجود بشكل أفضل.

في هذا السياق، الكليات رسائل النور وبشكل خاص "الكلمة الأولى"، تحمل مهمة تتوافق مع أهداف العلم الشعبي: تقديم المعلومات بلغة يمكن للجماهير فهمها وتسهيل الوصول إليها. وفي عالم يبعد الناس عن العلم، الفكر، والمعرفة الدينية، يجعل هذا الموضوع معنوياً ومتاحاً مرة أخرى. وبالتالي، رسائل النور تلعب دوراً مهماً في تحقيق هذا الهدف المهم للعلم الشعبي، من خلال تطبيقه في المجالات الدينية والفلسفية، وجعل المعرفة متاحة للجماهير الواسعة.

تحليل مقارن لـ "الكلمة الأولى" مع العلم الشعبي:

"يا أخي! طلبت مني بعض النصائح. وبما أنك جندي، فمن خلال تمثيل الحياة العسكرية وبواسطة ثمان قصص قصيرة، دعنا نستمع معاً إلى بعض الحقائق".

❖ "النصيحة"

نصائح بديع الزمان تعطي في شكل نصيحة، هي جزء من تقليد التعليم الديني والفلسفي وأيضاً وسيلة فعالة لنقل المعرفة. النصيحة، عادةً ما تعبر عن التوجيهات والإرشادات التي تأتي من خلال تجارب ومعرفة وفهم الشخص. غالباً ما يأتي هذا من موقع السلطة ويتوقع من الجمهور الالتزام بتلك التوجيهات والتعلم منها. يمكن للمستمعين، عبر الثقة في المعرفة والخبرة لمن يقدم النصيحة، أن يطوروا فهمهم وسلوكهم.

من منظور العلم الشعبي، تقديم النصائح غالباً ما يكون شيئاً يقوم به العلماء وموظفو الاتصال العلمي. عندما يشرح العلماء نتائجهم العلمية لجمهور واسع، غالباً ما يقدمون توجيهات تستند إلى هذه المعلومات. على سبيل المثال، قد يقدم عالم في مجال الصحة نصائح حول نمط حياة صحي استناداً إلى أبحاثه حول النظام الغذائي أو الرياضة. غالباً ما تشمل هذه التوجيهات الأفعال العملية التي يمكن للمستمع تطبيقها في حياته اليومية وملاحظة فوائد هذه التوجيهات.

لذلك، إعطاء النصيحة هو وسيلة فعالة لنقل المعرفة لجمهور واسع وتحفيز المستمعين على العمل. قد يكون استخدام بديع الزمان لهذه الوسيلة هو طريقته لنقل تعاليمه

إلى جمهور أكبر وتحفيز المستمعين على تطبيق هذه التعاليم في حياتهم. وقد يكون لهذه الاستراتيجية هدفاً مشابهاً في العلم الشعبي.

غالباً ما تعتمد نصائح بديع الزمان على آيات القرآن، ويقدم آيات الله كنصيحة لنفسه ولستمعيه. هذا يُظهر الطابع الثنائي للمعرفة؛ أي أن المعرفة تُفيدنا وتفيد الآخرين أيضاً.

وفي العلم الشعبي، نلاحظ عملية مماثلة. غالباً ما يقوم العلماء وموظفو الاتصال العلمي بشرح نتائجهم العلمية وفهمهم لجمهور واسع، وهذه المعلومات غالباً ما تشكل فهمهم وآراءهم الخاصة. عندما يشرح عالم موضوعاً أو يوضحه، غالباً ما يفهم الموضوع بشكل أفضل ويعمق من فهمه. وفي هذه العملية، المعرفة تُفيد العالم والجمهور على حد سواء.

وبنفس الطريقة، قدم بديع الزمان آيات القرآن كنصيحة، يعمق بها فهمه وإيمانه، وفي الوقت نفسه يقدم تعليماً للمستمعين. وتعكس العبارة "من لم يصلح نفسه لا يمكنه إصلاح الآخرين" هذه الفكرة. قد يكون من الصعب نقل المعرفة للآخرين دون تطوير فهمنا ومعرفتنا. يُظهر نهج بديع الزمان هذا أن المعرفة لها قيمة للمعلم والمتعلم على حد سواء.

تسمح لنا هذه الطريقة بفهم أن التعلم ونقل المعرفة هو عملية متبادلة. ويُظهر ذلك أن المعرفة ليست مجرد تدفق واحد الاتجاه، ولكنها تتطلب حواراً وتفاعلاً. تحتل هذه الفكرة مكاناً مهماً في العلم الشعبي وأيضاً في تعاليم بديع الزمان. تقاسم

وتعلم المعرفة هو عملية حيث يستفيد المعلم والمتعلم من بعضهما البعض ومن المعرفة نفسها.

❖ "العسكرية"

في المقدمة لـ "الكلمة الأولى" من الكليات رسائل النور لبديع الزمان سعيد النورسي، يُشار إلى هذا التعبير الذي يُمثل في الواقع جوهر العلوم الشعبية. في هذا السياق، يُشير بديع الزمان إلى أنه كتب موجهاً لفئة معينة (الجنود)، ولهذا السبب استخدم لغة وأسلوباً يناسبهم، مثل استعارات الحياة العسكرية والقصص القصيرة المتعلقة بها.

تُعد الحياة العسكرية نقطة مرجعية مشتركة في معظم المجتمعات، يمكن للأشخاص من جميع الأعمار والمستويات الاجتماعية والاقتصادية فهمها. استخدام بديع الزمان لاستعارات الحياة العسكرية لشرح الموضوعات الدينية والفلسفية يعكس نهجاً مشابهاً لهدف العلوم الشعبية. يجسد المصطلحات والحالات العسكرية المفاهيم الدينية والفلسفية المعقدة ويُعبر عنها بلغة يمكن للجمهور العام فهمها.

نرى نهجاً مماثلاً في العلوم الشعبية أيضاً. عندما يتحدث علماء الفيزياء عن موضوعات معقدة مثل فيزياء الكم أو هندسة الجينات، غالباً ما يُقدمون أمثلة من الحياة اليومية، الأمور والحالات التي يعرفها الجميع. على سبيل المثال، يتم استخدام مثال القطار وسرعة الضوء بشكل متكرر لشرح نظرية النسبية لأينشتاين. تجعل هذه الأمثلة الأفكار المعقدة أكثر تجلياً وسهولة في الفهم للجمهور العام.

تشبه استعارة الحياة العسكرية التي استخدمها بديع الزمان بالنهج الذي يتبعه العلم الشعبي، حيث تُعد طريقة فعالة لشرح المفاهيم الدينية والفلسفية للجمهور الواسع. تجعل هذه الأمثلة المفاهيم المعقدة ملموسة وتقدمها بلغة يمكن للكثيرين فهمها. وبالتالي، يتوافق نهج بديع الزمان مع هدف العلم الشعبي الذي يرمي إلى نقل المعلومات المعقدة إلى الجمهور الواسع.

لدى استخدام بديع الزمان لاستعارة الحياة العسكرية، هناك عدة طبقات من المعاني. تُعد هذه الاستعارة إشارةً إلى أن الطريق إلى النجاح والسعادة في الحياة يعتمد على التقيد بالنظام والانضباط، وكذلك تلميحاً إلى أن الإسلام له نظام وانضباط داخلي. يتحرك الجنود وفق نظام وانضباط معين. وظيفة كل جندي هي اتباع الأوامر، وهذا هو مفتاح النجاح. يُشير بديع الزمان هنا إلى الانضباط والنظام كوسيلة لتحقيق النجاح والسعادة في الحياة. وهذه المبادئ صالحة في جميع جوانب الحياة، سواء في العمل، أو في المدرسة، أو في العلاقات الشخصية، أو حتى في التطوير الشخصي.

وفي الإسلام، تُمثل أوامر الله نوعاً من النظام والانضباط. العبادات، نظام الحياة اليومية، القوانين الأخلاقية، وغيرها يجب أن يُفكر فيها ضمن إطار من النظام والانضباط. قول "يجب أن يكون حياة المسلم كحياة الجندي" هو انعكاس لهذه الفكرة. أي أن المسلم، مثل الجندي، يجب أن يكون وفياً لأوامر الله وتعاليم الإسلام.

وبالنسبة للموضوع، يقول بديع الزمان في عمله الرائع الكليات رسائل النور في الجزء المسمى "المكتوبات":

“ألاحظ أن: في هذه الحياة الدنيوية، أسعد الناس هو من يعتبر العالم كترل عسكري مؤقت، ويدركه على هذا النحو ويتصرف وفقاً له. وبهذا التصور، يمكنه الوصول بسرعة إلى أعلى المراتب، وهي مرتبة الرضا الإلهي².”

يُشير مصطلح "مسافر خانة عسكرية" إلى مكان إقامة عسكري أو مكان يُقيم فيه الجنود. يستخدم بديع الزمان هذا المفهوم للتأكيد على أن العالم هو مكان إقامة مؤقت، وأنا نقضي فيه فترة قصيرة فقط، وأن وطننا الحقيقي هو الآخرة.

ولكن، النقاط التي يتم التركيز عليها هنا لا تقتصر على مفهوم المؤقتة فحسب. من خلال استخدام الكلمة "عسكري"، يُشدد على أن وجودنا في العالم يتطلب منا مهاماً ومسؤوليات. يتصرف الجندي وفقاً للأوامر، ويعيش حياة مليئة بالانضباط والتنظيم. يُظهر بديع الزمان أن هناك هدفاً لوجودنا في هذا العالم، وهو أن يكون لدينا الالتزام بأوامر الله وأن نظل أوفياء لتعاليم الإسلام.

وبهذا، يُظهر بديع الزمان لنا الوجه الحقيقي للعالم عندما وصفه بأنه مسافر خانة عسكرية، مذكراً بنا بطبيعة هذا العالم المؤقتة والمسؤوليات التي يجب علينا تحملها

²مكتوبات - 33 (مكتوب التاسعة، الجزء الثالث، الفقرة الأولى)

خلال فترة وجودنا فيه. الوقت القصير الذي نقضيه في حياة الدنيا مليء بالمهام والمسؤوليات الكبيرة. كما يتوجب على الجندي أن يتصرف وفقاً للأوامر ويحافظ على نمط حياة مليء بالانضباط أثناء وجوده في الثكنة العسكرية، يتعين علينا أيضاً أن نتصرف وفقاً لأوامر الله ونظل مخلصين لتعاليم الإسلام خلال وجودنا في هذا العالم. هذا النهج لن يجلب لنا السعادة والنجاح في الدنيا فقط، ولكن أيضاً في الآخرة. ولهذا السبب، فإن فهم العالم بهذه الطريقة سيساعدنا على تحقيق المرتبة العظمى، وهي "مرتبة الرضا."